نحو وعي إيماني تجاه الوباء العالمي

د. مرهف عبد الجبار سقا

دكتوراه بالتفسير وعلوم القرآن - الأستاذ المساعد في كلية التربية

جامعة المجمعة - المملكة العربية السعودية

منذ شهر تقريبا ونحن نعيش حالة استثنائية جديدة في تاريخنا المعاصر؛ أوقفت دول العالم مستنفرة في مواجهته، وتماوجت الناس في مواقفها اتجاهه، فمنهم من كان يجتهد في التفكير والإثبات على أن هذا الوباء (كورونا) مؤامرة وحرب بيولوجية افتعلتها أمريكا أو الصين، وصار يلتقط كل مقال وفيديو توافق مزاعمه.

وآخرون ذهبوا إلى أنه من افتعال شركات الأدوية الرأسمالية في العالم كما فعلت من قبل في الجمرة الخبيثة، وهكذا توالت التحليلات والمقالات وامتلأت وسائل التواصل الاجتماعي بهراء ليس من ورائه فائدة، ولا يملكون عليه إثباتا إلا الظن.

بينما ذهب آخرون إلى أن هذا الوباء (كورونا) عذاب الله للبشرية ونهاية العالم لما ساد الظلم وكثرت الدماء، فكان هذا ما يستحقونه، وصار كل من يملك جوالا يصور فيديو ويسعى لنشره في وسائل التواصل ويتكلم بما يزرع الخوف وسوء الظن بالله تعالى في قلوب الناس وكأن الله أطلعه على الغيب وأرسل له وحيا بأن (كورونا) عذاب الله!!.

ولكن لا يخلوا الواقع من مؤمنين عقلاء يحاولون إدارة الدفة وتوجيه الناس إلى المسار الصحيح في التفكير، ويدعونهم إلى التفكر والتدبر لأجل الفهم عن الله، فإن من نعمة الله على المسلم أن لديه عقيدة تصنع له الوعي ليتعامل مع ما يقضيه الله تعالى، وبمقدار اقتراب المسلم من عقيدته يزداد وعيه في اتخاذ الموقف السليم مما يحيط به.

فالمسلم يعتقد أن كل خير أو شر في الحقيقة إنما هو ابتلاء، وهذا ما تعلمناه في القرآن في قوله تعالى: **فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ * وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ** [الفجر: ١٥-١٦]، فوصف الله تعالى الإكرام بالابتلاء، ووصف المصائب أيضا بالابتلاء، والآية تخبرنا أن الإنسان المجرد عن الإيمان عندما يرى النعمة تلبسه يفرح ويقول: أكرمني الله لأني أستحقها، ويفخر بنفسه،

ولكن عندما ينزل عليه مصيبة، يتمعض هذا الإنسان ويقول: لقد أهانني الله ولم يكرمني، إذن فهذا الإنسان يتعامل مع قضاء الله وقدره بنظرية المنفعة الشخصية، ويقوم بإعطاء الأحكام على قضاء الله بالخير أو بالشر، وهذا سوء أدب مع الله، فالإنسان عبد لله وينبغي أن يقف العبد عند حدوده ولا يتكلم بما لا يعلم، ولا يرجم بالغيب ويعطي أحكاما على ما كان غيبا عليه.

أما المؤمن فحاله واحد مع الله تعالى، وهي حال العبودية، فيقف عند قوله تعالى: **وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ** [البينة: ٥].

ومن مقتضيات الإخلاص لله تعالى أن يقوم المسلم بالتعامل مع قضاء الله وابتلاءاته وفق التصور الشرعي والإيماني، ويلتزم بذلك ولا يخرج عن الإيمان والشريعة، وتطبيق ذلك في حالة وباء (كورونا) بالنسبة لنا:

أولاً: الرضا عن الله تعالى فيما قضى وقدر، واللجوء إليه لما نحمله من يقين أن المتصرف المتفرد بهذا الكون، والضار والنافع هو الله تعالى، وهذا الموقف نابع عن صلة وثيقة بالله تعالى، إذن هو التزام إيماني.

ثانيًا: حسن الظن بالله تعالى، لأن النبي صلى الله عليه وسلم أخبر عن ربه كما في الحديث الصحيح: **(إني عند ظن عبدي بي)**، فيحسن المسلم بربه الظن أن في هذا الوباء خير، يطهر الله به الذنوب ويرفع الله به الدرجات، وينبه الإنسان على ضعفه وفقره إلى الله، ويذكره بنفسه وإسرافه عليها بالغفلة والبعد عن الذكر والطاعة..الخ

أما من يسيء الظن بالله ويقول للناس بأن هذا عذاب الله لنا؛ فإن كان هذا ظنه بالله فسيجعله الله عليه عذابًا، لأن هذا ظنه بالله الرحيم.

وإذا أحسن العبد ظنه بالله أحسن تعامله مع ابتلاءات الله تعالى، ومن ذلك أن لا يشتم ويسب الأمراض لحديث جابر بن عبدالله رضي الله عنه: **(أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل على أم السائب أو أم المسيب فقال: مالك يا أم السائب أو يا أم المسيب تُزَفزفين؟ [تتحركين حركة شديدة أي ترعدين]، قالت: الحمى لا بارك الله فيها)**.

فقال صلى الله عليه وسلم: **(لا تسبي الحمى فإنها تذهب خطايا بني آدم كما يذهب الكير خبث الحديد)**.

أخرجه مسلم في صحيحه.

ثالثا: العمل بمقتضى الشريعة والالتزام بأحكامها وإرشاداتها، ومن ذلك العمل بمقتضى الأخذ بالأسباب، وأن لا ينجرف لعاطفته ليتجاوز الحكم الشرعي الآمر بالأخذ بالأسباب، فالحجر الصحي وما يستلزمه مما تقوله المراكز

المعنية من الأسباب الواجب الأخذ بها شرعًا، ويأثم من يخالفها، فإن قام مسلم بالقفز على الأخذ بالأسباب بحجة أنه مؤمن بأنه لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا، وأن إيمانه سيحجزه عن الوقوع بالمرض، فهذا فهم خاطئ للإيمان أدى به إلى سوء أدب مع الشريعة، ألا ترون إلى الذين أرادوا الحج فحملتهم عاطفتهم إلى أن لا يتزودوا وقالوا نتوكل على الله وهو يعطينا، فأنزل الله قوله: **وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى** [البقرة: ١٩٧]، يقول الإمام البغوي في تفسيره مبينا سبب نزولها: **(نَزَلَتْ فِي نَاسٍ مِنْ أَهْلِ الْيَمَنِ كَانُوا يَخْرُجُونَ إِلَى الْحَجِّ بِغَيْرِ زَادٍ وَيَقُولُونَ: نَحْنُ مُتَوَكِّلُونَ، وَيَقُولُونَ: نَحْنُ نَحُجُّ بَيْتَ اللَّهِ فَلَا يُطْعِمُنَا؟ فَإِذَا قَدِمُوا مَكَّةَ سَأَلُوا النَّاسَ، وَرُبَّمَا يُفْضِي بِهِمُ الْحَالُ إِلَى النَّهْبِ والغضب)**، ومثله الذي يقول: لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا، فيخرج من بيته ويمشي في الأسواق فيعرض نفسه للمرض والمهلكة.

وأما حديث: **(لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر وفر من المجذوم فرارك من الأسد)** أخرجه البخاري، فإنه ورد في سياق إبطال اعتقادات الجاهلية الذي كانوا يعتقدون بأن المرض يؤثر بذاته، ولا يعتقدون بأنه مخلوق لله تعالى، فذكر النبي صلى الله عليه وسلم بأن الأمراض لا تعدي بنفسها، وإنما تعدي إذا أراد الله لها ذلك، ولكن الواجب عليك أيها المسلم أن تأخذ بالأسباب مع اعتقادك بأن الضار والنافع هو الله، ولذلك جاء في آخر الحديث: **(وفر من المجذوم فرارك من الأسد)** لتبين ذلك، بمعنى: وكذلك الأسد لا يضر ولا ينفع إلا بإذن الله، فالواجب الشرعي منك أن تحافظ على نفسك إذا خرج أمامك أسد وتفر منه، لا أن تقف أمامه وهو يتأهب لافتراسك وتقول أنا مؤمن بالله وأنه لن يصيبني إلا ما كتب لي، فإن فعلت ذلك فأنت في هذه الحالة مخالف للشريعة وآثمٌ عند الله.

وكذلك فإن التداوي من الأسباب التي أمرنا الرسول صلى الله عليه وسلم القيام بها، لحديث النبي صلى الله عليه وسلم: **(ما أنزل الله داءً إلا قد أنزل له شفاءً، عَلِمَه من عَلِمه، وجَهِله من جَهله)**، أخرجه البخاري والإمام أحمد واللفظ له.

وفي الحديث الذي أخرجه ابن حبان في صحيح عن أسامة بن شريك أن الأعراب سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم قَالُوا: **(يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَهَلْ عَلَيْنَا جُنَاحٌ أَنْ نَتَدَاوَى؟ فَقَالَ: "تَدَاوَوْا عِبَادَ اللَّهِ، فَإِنَّ اللَّهَ لَمْ يَضَعْ دَاءً إِلَّا وَضَعَ لَهُ دَوَاءً)**.

من عطل الأسباب أساء الأدب مع الشريعة، وكذلك من اعتمد على الأسباب معتقدا تأثيرها وغفل عن الله فقد أشرك بالله.